الاسلام واهله

يقظة بعض المسلمين . حال الباقين . تفصيل ما ظهر للمستيقظين . من شقي ومن سعد . الاتباع والابداع . الفرق بين الماضي والحاضر . آيات تحصيل العلوم . انما اوقع المسلمين في الشقاء رؤساء الدين والدنيا . طريق الخلاص . اتباع سنة الراشدين في الدين وسنة الامم العزيزة في الدنيا . استعداد المسلمين لهذا الاصلاح . الاجتهاد والتقليد . الحاجة الى وضع حدود للاصلاح . من تصدى لذلك . استلفات للعلماء

نحمد الله ان ليل الاسلام قد عسعس ، وصبحه قد تنفس ، وطفق اهله يهبّون من رقادهم ، ويمسحون النوم عن اعينهم ، ولما يستيقظ الا نفر قليل . واما الباقون فمنهم من هو مستغرق في سباته ينط مما ثقل عليه النوم ، وما اطال نومه هذا الا تلك الاوزار والاوقار التي حملها من البدع والتقاليد ، والاثقال والاحمال التي نامت به من الظلم الشديد ، ومنهم من وقع عليه الكابوس فمنعه من القيام . فلا هو في يقظة ولا في منام

ما ذا فعل المستيقظون ؟ رأوا الناس في طور جديد ، « فمنهم شقيٌّ وسعيد » ، فالسعيد قد غلب وساد ، وحكم العباد ، واستولى على ثروة البلاد ، واما الشقي فهو الذي رضي وخضع ، وذل وخنع ، وقلّد واتبع ،

رأوا ان هذا الزمن زمن الاجتهاد والاختراع ، والإحكام والإبداع ، وتغيير الاوضاع ، الا ما لا يمكن تغييره ، ولا يتأتى تحويله ، من شريعة محكمة توافق كل زمان ، وسنة كونية لا يحكم عليها الأوان ،

رأوا مدنية هذا العصر مخالفة لمدنية العصور الخوالي ، رأوا انه لا يمكنهم ان يكونوا فيه على عادات اجدادهم الاوالى ، رأوا ان السيوف الهندية ، والرماح الخطية ، لا تقابل المدفع والبندقية ، والنسافات

الديناميتية ، رأوا ان العزة والقوة بالعلم والمال . وان العلوم بالاعمال ، لا بالقيل والقال ، وكثرة الجدال ، وانما آية العلوم اللغوية بلاغة القلم واللسان ، والقدرة على ايصال المعانى للاذهان ، والتأثير باصابة مواقع الوجدان ، وآية العلوم الكونية الثروة الواسعة للامة ، والسلطة النافذة للدولة ، فالثروة بالزراعة ، والتجارة والصناعة ، والسلطة بالحكومة الشورية ، والعدل فى الرعية ، وآية العلوم الدينية ، تطهير العقول من الاعتقاد الباطل ، وتزكية النفوس من الرذائل ، والوقوف على جادة الاعتدال ، فى كل عمل من الاعمال

رأوا كل هذا وما يتبعه ويحتف به وعلموا بالمشاهدة والعيان ان جميع المنتسبين للاسلام أمسوا وراء الامم كلها . وعلموا ان هذا التأخر لم يكن ناشئاً عن تقصير الطبقات الدنيا من الامة لان زمامها لم يكن فى ايديهم . وانما الشقاء والبلاء كله من قادة العقول والافكار ، والمتصرفين في النفوس والارواح ، وهم العلماء والمرشدون . ومن قواد الجيوش والعساكر ، والمتصرفين فى الدنانير والدراهم ، وهم الملوك والحاكمون ، وعلموا كما يعلم كل من نظر فى هاتين المقدمتين البديهيتين — تأخر الامة الاسلامية وكون السبب فى ذلك الرؤساء — ان صلاح هذه الامة وانتياشها من هذا الشقاء لا يمكن الا بمعرفة الفساد الذى طرأ على اولئك الرؤساء منذ تولدت جراثيم الخلل والضعف فى الامة الى اليوم وتلافى ذلك والتقصى من عقله والانطلاق من قيوده والسير فى طريق جديد يوافق ما عليه سلف الامة ايام الخلفاء الراشدين من حيث الدين وما عليه الامم العزيزة القوية من حيث الدنيا ورمي كل ما عدا هذا وراء الظهر وعدم الالتفات

اليه وان لوّن بلون الدين وأوهم انه منه وعدم الالتفات الى قائليه ومروّجيه وان كان لهم من الالقاب الضخمة ما يخلب عقول العوام ، ويوهم الغافل ان مخالفتهم جناية على الاسلام

هذه النتيجة موضع اتفاق بين الباحثين فى اصلاح المسلمين ولكنهم فى العلم بها على درجات . وجميع المتعلمين على الطريقة الجديدة والواقفين على احوال البشر مستمدون لموافقتهم فى رأيهم فكلما صدرت من واحد منهم كلمة تنتشر بين هذا الصنف من الناس بسرعة غريبة حتى كأن القائل القاها اليهم بالاسلاك الكهربائية وكأن كل رجل من ناقليها سارية من سوارى السلك البرقى . ولا يعبأون بانكار الغافلين عن احوال العصر والجاهلين بعلم الاجتماع من اصحاب العمائم اذا انكروها لأنهم يعتقدون انهم ما انكروها الا لأنها تمس ارزاقهم التى يتناولونها باسم الدين او تخفض شيئاً من جاههم العلمى العتيق الذى لا يطابق ما كان عليه الصدر الاول من سلامة اللغة وبساطة الدين وسهولته ولا ما يقتضيه العصر من تعزيز الاسلام واعلاء همته . أرأيت ما قاله احمد بك شوقى شاعر الحضرة الخديوية الفخيمة فى نصيحته لولىّ عهد الحكومة المصرية بالأخذ بالدين

وخذه من الكتاب وما يليه ولا تأخذه من شفتي فقيه

نشر هذا القول فى المؤيد اعم الجرائد العربية انتشاراً وطبع فى ديوان « الشوقيات » وترنم به الناس وقبلوه حتى لم نسمع ان احداً انكره لا قولا ولا كتابة مع انه كلام شبيه بالرسمى والمخاطب به من اعظم امراء الاسلام بل سمعنا من قال ان هذا خير ما قاله شوقى وانفعه

هذا ما عليه السواد الاعظم من متعلمى المسلمين وخواصهم فى

العرب والعجم إما حصولاً وإما قبولا ومن عداهم من الخواص كالمتعلمين على الطريقة العتيقة يحتجون عليهم بأن هذا يقتضي فتح باب الاجتهاد وهو مسدود من مئين من السنين ونحو هذا الكلم الذي لا يقبله اولئك لانهم يرونه تقليداً للمقلدين . والمقلد لا يصح تقليده كما ان المجتهد لا يقلد مجتهداً بالاجماع . يقولون : من سدّ باب الاجتهاد وهل هو مجتهد ام مقلد ؟ فان كان مجتهداً فمن هو ؟ وكيف اجتهد هو ومنع غيره من الاجتهاد ؟ وان كان مقلداً فكيف تعدى على مقام الاجتهاد وتحكم في اهله ؟ وكيف يصح لنا ان نأخذ بقوله هذا وهو مقلد لاقول له ؟ وللآخرين اجوبة سنشرحها في مقالة اخرى ونبين رأينا فيها ونقول الآن بالاجمال لا يريد عاقل من الباحثين في الاصلاح الاسلامي ان يكون الناس في الدين فوضى يذهب كل واحد الى مايزين له هواه ولا يريد احد منهم ايضاً ان يبقى المسلمون مقيدين بكتب الخلف من الفقهاء وغيرهم لان هذا رضى بما عليه المسلمون لا سعي باصلاح حالهم

لا بد من وضع قواعد وحدود للاصلاح الديني تتبع عملاً وقد كتبنا شيئاً من هذا في السنة الاولى للمنار وسنعيد الكلام فيه . ونقلنا في الجزء الماضي عن حضرة زميلنا محبوب عالم أفندي ان اخواننا مسلمي الهند سبقونا الى هذا الاصلاح بالعمل ولم نزل نحن في طور الفكر وقد كتب بعض الفضلاء منا نبذا متفرقة لم يتحرر بها الموضوع تحريراً . وقد نشرت رفيقتنا « ثمرات الفنون » الشهيرة عشر قواعد لاحد العلماء الافاضل سدّد فيها وقارب ولكنه لم يجلّ الغيابة ويبصّر الغاية فانبرى له بعض اهل الجمود والخمود يردّ عليه ويحتم على المسلمين ان لا يخرجوا ارجلهم من المقاطع التي

وضعها العلماء المتأخرون على ما فيها من الخلاف والنزاع والابهام والايهام والخرافات والضلالات ولقد عجب كل من رأيناه من الفضلاء الذين اطلعوا على الثمرات كيف نشرت هذه الجريدة النافعة هذا الرد المسلط الذى لا نظام له

ونختم القول باستلفات علمائنا الكرام الى العناية بالوقوف على أفكار الامة وامانيها لا سيما المتعلمين والكتاب وان يجعلوا من اوقات فراغهم الطويلة جزءا للبحث فيما عليه الامة ونسبتها لسائر الامم والمذاكرة فى ذلك ليبصروا مجرى الافكار اين يتوجه فيكونوا على بصيرة من محافظتهم على طريقتهم التى هم عليها او من السعى فى السير على طريقة أخرى تكون انفع لهم وللأمة وبالله التوفيق .